بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عالمٌ بلا أمان.. حين تصبح الصداقة عداوة والمصالح هي الحَكَم!

الخبر:

جمعت قمة شنجن في الصين، الخميس، ثلاثة من أقوى قادة العالم في لحظة دولية شديدة الاضطراب، وسط أزمات الحروب والطاقة والتسلح النووي، لكن اللقاء كشف تفاوتاً في المكاسب، وفق تقدير مجلة نيوزويك. إذ عززت الصين موقعها الدبلوماسي، واستعادت روسيا بعض شرعيتها الدولية، بينما بقيت أوكرانيا وأوروبا خارج دائرة القرار. (الجزيرة نت)

التعليق:

يعيش الإنسان في ظل هذا النظام الدولي حالةً من التخبط والقلق وفقدان الشعور بالأمان والاستقرار؛ فلا صديق يبقى صديقاً، ولا عدو يظل عدواً، فالمواقف تتبدل، والتحالفات تتغير، وما يجمع الدول اليوم قد يكون سبباً لصراعها غداً. فالمصالح وحدها هي التي تحكم، ولا مكان للمبادئ والثوابت حين تتعارض مع حسابات القوة والنفوذ.

ولعل ما تكشفه القمم الدولية، ومنها قمة منظمة شنغهاي، وما رافقها من حسابات ومواقف دولية، مثال واضح على هذا الحال؛ فهناك من يخرج رابحاً، كالصين وروسيا، بينما تجد أوكرانيا وأوروبا نفسيهما أمام حسابات ومآلات لم تكن في صالحهما. وهكذا يصبح مصير الشعوب رهين صفقات الكبار وتقلبات مصالحهم، فلا ضمانة لتحالف، ولا ثبات لموقف.

إن أصل هذه الأزمة يكمن في طبيعة النظام الرأسمالي الذي يحكم العالم اليوم؛ نظام لا تحكمه عقيدة صحيحة ولا مبادئ ثابتة، بل تحكمه المنفعة والمصلحة، فمن كان صديقاً بالأمس قد يصبح عدواً اليوم، ومن كان عدواً قد يصبح حليفاً إذا اقتضت المصالح ذلك. ولذلك تعيش البشرية في عالم تُفتقد فيه الثقة، ويغيب عنه اليقين، ويصبح الأمن والاستقرار فيه رهيناً بموازين القوة.

وعلى النقيض من ذلك، يأتي الإسلام بنظام له أسس واضحة وثوابت راسخة، لا تتبدل بتبدل الأشخاص ولا تتغير بحسب حجم الدول وقوتها. فالإسلام لا يفرّق في إقامة الحق والعدل بين قوي وضعيف، ولا يجعل المبادئ سلعة للمساومة، بل يضبط علاقات الدولة بغيرها بأحكام شرعية واضحة، فيعرف الصديق من العدو، ويعرف الحليف من المحارب، وتكون المعاهدات والمواثيق قائمة على الوضوح والالتزام.

وفي ظل دولة الإسلام، يجد الإنسان معنى الطمأنينة والاستقرار؛ لأن هناك نظاماً يحتكم إلى أحكام الله عز وجل، لا إلى أهواء الحكام وتقلبات المصالح، نظاماً لا يترك مصير الشعوب رهين صفقات القوى الكبرى، ولا يجعل الكرامة والحقوق خاضعة لموازين القوة.

إن البشرية اليوم أحوج ما تكون إلى نظام الإسلام ليعيد للسياسة أخلاقها، وللعلاقات الدولية ضوابطها، وللإنسان شعوره بالأمان والطمأنينة.

فهل آن للبشرية أن تدرك أن أزمتها ليست في تبدّل الحلفاء، بل في النظام الذي يحكم العالم؟ وأن خلاصها لن يكون إلا بالعودة إلى هداية الإسلام ونظامه؟

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

عبد العظيم الهشلمون